قراءة الآخر من أشعاره:
دراسة مترجمات شعرية عبرية

د. سعاد أمين محمد السيد
قسم اللغة العربية
كلية الألسن ـ جامعة عين شمس

Reading the other by his poetry - Study of Hebrew poetry translations.

Abstract

The study of Hebrew poetry, which was translated into Arabic, is a true portal to identify the culture and orientations of Israeli society; peace or war. After the war of October 6, 1973, a new generation of poets emerged, influenced by the defeat of an army has thought himself invincible. Then it is conquered and left a psychological effects that may not heal with time. The Israeli poet is divided into three fields: a field that expresses the effects of defeat, and a field of skepticism in the dawn of hope that outreach the desperation and frustration, and a field that believes in this hope, and even calls for peace and seeks it. The study deals with literary analysis according to the German school's view of comparative literature, which focuses on the recipient and his literary works based on his convictions and his own vision. The exclusion of prejudices positively affects the treatment of the poems of the other that differ linguistically, ideologically and ideologically, for the purpose of a neutral study and a different vision that may produce results that allow a rapprochement between man and the like.

Keywords: Hebrew poetry - the Arab-Israeli conflict - the other and the self - aesthetic reception - translation

قراءة الآخر من أشعاره. دراسة مترجمات شعرية عبرية

ملخص

دراسة الأشعار العبرية التي ترجمت إلى اللغة العربية ، تعد بوابة حقيقية للتعرف على ثقافة المجتمع الإسرائيلي وتوجهاته؛ سلما أم حرب. عقب حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣،ظهر جيل جديد من الشعراء متأثر بما آلت إليه الحرب من هزيمة منكرة لجيش ترسخ في ذهنيته أنه الجيش الذي لا يقهر،فإذا به يقهر ويخلف ذلك آثارا نفسية قد لا تمحى ما مر الزمان. الشاعر الإسرائيلي تتوزعه حقول دلالية ثلاثة ؛ حقل معبر عن آثار الهزيمة ، وحقل متشكك في بزوغ فجرأمل يجاوز حالة اليأس والاحباط، وحقل مؤمن بتحقق هذ الأمل بل وداع إلى السلام وساع إليه.

تتناول الدراسة بالتحليل الأدبي وفقا لرؤية المدرسة الألمانية في الأدب المقارن والتي تركز على المتلقي وتناوله للأعمال الأدبية انطلاقا من قناعاته ورؤيته الذاتية.

التجرد من الأحكام المسبقة يؤثر إيجابيا في تناول أشعار الآخر المختلف لغويا وعقائديا وأيدولوجيا، بغية في دراسة محايدة ورؤية مغايرة قد تأتي بنتائج تسمح بتقارب بين الإنسان ومثيله.

كلمات مفتاحية:

الشعر العبري- الصراع العربي الإسرائيلي – الآخر والذات – جمالية التلقي – الترجمة

قراءة الآخر من أشعاره دراسة مترجمات شعرية عبرية

مقدمة

تدريس مادة الأدب المقارن بكليتنا الحبيبة (الألسن) لطلبة أقسام اللغات يحقق اتفاقا في اختيار موضوعات المقارنة بين اللغة العربية والقسم المنوط بالتدريس له. ومع تنوع اللغات بين اللغة الإنجليزية،واللغة الفرنسية... واللغات السامية / العبرية[1] تتنوع موضوعات المقارنة .

الجمع بين العربية والسامية/العبرية في دراسة مقارنة دراسة محفوفة بالمخاطر،وتطرح أسئلة عدة؛منهاعلى سبيل المثال:هل يمكن أن يقرأ العربي أدبا عبريا متجردا من أي أحكام مسبقة؟هل من الممكن ألا نقع في فخ غواية المتخيل وجمالية التشكيل الأدبي؟هل بالإمكان قبول ما تحويه الأعمال الأدبية؛شعرا أو نثرا من أفكار وعواطف هي في المقام الأول تعبر عن الإنسان؟والسؤال الأهم هل تتقبل خاتمة الدراسة قبول الآخر من منطلق اقتلاع جذور الشر فيما بين الإنسان ومثيله؟

اليهودي في الذهنية العربية

عند دراسة اليهودي في الأدب العربي،نرى أن الدراسة يوضع في خلفيتها الثقافة التي أنتجت تلك الصورة النمطية لليهودي وحولتها إلى مجموعة من الأفكار تتداعى في ذهن المتلقي عند ذكر تلك الشخصية النمطية.كأن يتبادر لذهننا عندما نقول اليهودي مجموعة من الأفكار والصفات التي أنتجها وعينا ومعرفتنا وقراءتنا عنها؛مظهرا وجوهرا،فنتذكر مثلا شيلوك اليهودي المرابي في رواية تاجر البندقية لشكسبير،أواليهودي كما صور في الروايات[2] والأفلام المصرية القديمة،فخلفت في الذاكرة مجموعة من مشاعر الحقد والكراهية جراء تصرفاته وأفعاله وسلوكه.تَكَوُّن تلك السمات النمطية لا يستند في كثير من الأحيان إلى أسس منطقية،بل قد يستند في كثير من الأحيان إلى أسس انفعالية قد تقترب أوتبتعد عن الحقيقة.وكثير من الثقافات تعيش في الواقع بواسطة المتخيل،وأخرى تعيش في المتخيل الذي يعاش كواقع،أوهو الواقع المتخيل.وتغلب الرؤى السياسية في التعامل مع الشخصية اليهودية حسب الآراء المسبقة عنها.

أهمية الدراسة

هذا عن اليهودي في الأدب العربي،فماذا عن اليهودي في نتاجه الأدبي؛شعر أونثر؟من هنا،وجب الانفتاح على فكر الآخر.قد ينعكس ذلك في ردود أفعال متباينة بين إنكاره أوقبوله من زاوية،أو الوقوف في مواجهته تعصبًا ونفورًا من زاوية أخرى.وقد استقبلت دراسات عدة الانفتاح على قراءة الآخر بالترحاب تقديرا وإحساسا بضرورته لإثراء الاتجاهات الفكرية،والمعاونة على فهم الذات.كما يؤكد الانفتاح أثر فكر الآخر في مناحي التفكير الإنساني بصفة عامة. كما أنه " لا تخلو ثقافة من الثقافات من تمثيل للذات أو للآخر ، فالتمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة ما عن نفسها وعن الآخر"[3]

في الثقافة اليهودية آليتان تعملان معا وبصورة متعارضة لا متقاطعة،بحيث تكمل إحداهما الأخرى أو تمهد لها أو تليها. الآلية الأولى:هي آلية الجذب والدمج دون الذوبان،وقد توفرت تلك الآلية"فيما بين القرنين التاسع والثاني عشرالميلادي،في الفترة التي يعترف مؤرخو اليهودية أنفسهم أنها " فترة ذهبية في الأندلس تحت الحكم العربي،ألف يهودا بن هاليفي وسليمان بن غابيول اليهوديان كتبا فلسفية وفكرية باللغة العربية،في الوقت نفسه الذي كانا ينظمان فيه

أشعارهما الدينية الغنائية باللغة العبرية"[٤].أما الآلية الثانية فهي آلية الطرد والبعاد؛للأصدقاء والأعداء على السواء،والتي تعبر عن رغبة هذه الثقافة والقائمين عليها في تحصين هويتها ضد الآخرين.كما لا تخلو أشعارهم من نظرة عدائية واستعلائية وازدرائية للآخر،المهدد– من وجهة نظرهم–لوجودهم فيبادرون بالاعتداء والانتقام،ويؤمنون"وأن إسرائيل تعتبر الانتقام صورة شرعية من صور السلوك القومي"[٥].ومن الأقوال التي يذكرها مؤرخو إسرائيل المعاصرة- وتعكس هذا الفكر العدائي-عبارة الجندي الإسرائيلي روفائيل إذ يقول" لولا اشتباكنا مع العرب في حرب لاشتبك اليهود مع اليهود"[٦].

وهكذا، فإن الآلية الأولى تخلق هوية ثقافية منفتحة ومتسامحة،فيما تصنع الآلية الثانية هوية منغلقة ومتوحشة وغير متسامحة مع الآخرين.[٧]حين تتغلب الآلية الثانية فإنها تنغلق على نفسها،وتضيق على أفرادها،وتنفر من الآخر نفورا يدفعها إلى العزلة والانزواء،أو إلى السعي الحثيث إلى إخضاعه والهيمنة عليه وامتلاكه.[٨]ويشير رفعت فودة في ترجمته لرواية " حنة وميخائيل إلى أن "الجيل الأسبق من الكتاب الإسرائيلين كانو"يستعرضون"،بينما الجيل اللاحق كانوا " يخبرون"،[٩] من استعرض خلق بيئة انعزالية، ومن أخبرحاول قدر جهده الاندماج مع الآخر.

بين أيدينا مجموعة من الأشعار العبرية التي ترجمت إلى اللغة العربية أُلفت عقب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م. تحوى مجموعة من الأفكار والعواطف والقيم المعرفية التي تطرحها والتي قد تتعارض بعض الشيء مع الصورة النمطية التي ترسخت في أذهاننا لليهودي/ الإسرائيلي[١٠] ؛صورة نمطية،روتينية عن شعب لها إسقاطاتها النفسية،ومرجعياتها التاريخية،وملابساتها السياسية،والتي تكونت مع مرور الزمن وقد ازدادت ترسخا بفعل الأحداث والحروب المتتالية[١١]. كما تبرز دور هذه المترجمات في إعانة القارئ العربي على فهم إنساني – قدر المستطاع-للشخصية الإسرائيلية .

منهج الدراسة

تطبق الدراسة منهج المدرسة الألمانية في الأدب المقارن،التي تمدنا بمنهجية جديدة في التعامل مع الموضوعات المختلفة؛المؤلفة والمترجمة. تبتعد المدرسة الألمانية عن كثير من معوقات غيرها من المدارس؛فهي لا تتطلب حتمية التلاقي التاريخي،ولا تتطلب التشابه والاختلاف بين الآداب محل الدراسة،ولا تنادي بأن الظروف الاجتماعية المتشابهة-في بلدان مختلفة جغرافية ولغة-تؤدي إلى إنتاج أنماط أدبية تصلح للدراسة المقارنة.إذا ما منهج المدرسة الألمانية في الأدب المقارن التي تخيرتها منهجا لدراسة الأدب الذي اختلف في تسميته:عبري أم صهيوني؟.

ركزت المدرسة الألمانية على المتلقي،وجعلت منه محور الارتكاز في الدراسات المقارنة، حيث العمل الأدبي يكتمل عبر تلقيه،ويُفهم بطرق مختلفة بسبب اختلاف آفاق التلقي والحوار معه.فكلما تغير أفق التلقي تغير معنى العمل نفسه،والتفسير هنا لا يخبر عن النص فقط،وإنما عن إيديولوجية متلقيه أيضاً،ومن هنا فتاريخ أدب ما هو تاريخ استقبال هذا الأدب." فرضية فاليري التي رأى فيها أنّ العمل الشعري مثل النوتة الموسيقية التي تتحول فقط عبر عزفها إلى "عمل"،وأنّ عزفها المتجدد،هو بمثابة قراءة متجددة،يجعل معناها أغنى ودائم المعاصرة،ومن هنا فالقارئ كالعازف في إنتاج النص وتقديمه لجمهور القراء...رؤية تاريخ الأدب والفنون بوصفه قضية جمالية

اتصالية يَتَعَامل فيها عناصر التجربة الجمالية الثلاثة: المؤلف والعمل والمتلقي؛ سواء أكان قارئًا أم سامعًا أم مراقبًا أم ناقدًا،بالدرجة نفسها من الأهمية،فهؤلاء هم في الوقت نفسه متفاعلون ومُوَصِّلون وناقلون للثقافة الجمالية[١٢].فكما لمنتج النص أهميته، فمتلقي النص له الأهمية ذاتها حين تنقطع العلاقة بين النص ومنتجه تبدأ العلاقة بين النص وقارئه/ متلقيه.

هل تتفق تلك النظرة-جمالية التناول- وجميع الآداب؟الإجابة قولا واحدا:لا.حين يكون الحديث عن الأدب العبري/الصهيوني فإن الأمر يبدو مختلفا تماما،ذلك أن هذا الأدب منذ بداياته الأولى تشبع بأفكار الحركة الصهيونية العنصرية.وأن الأدباء العبريين/الإسرائيليين/الصهيونيين مهما تعددت أواختلفت ألقابهم-الذين تبنَّوا هذه الأفكار وروّجوا لها،لايمكن أن يبتعدوا عن بوتقة المبادئ العنصرية التي رسمتها الدعاية الصهيـونية ودعت إلى تحقيقها أدبيا؛شعرا ونثرا[١٣] كما سخرت لها أبواقها الدعائية،وحرصت على فتح المنابر الإعلامية لها.ويذهب غسان كنفاني في كتابه إلى أن الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية،وما لبثت أن استولدتها وقامت الصهيونية السياسية بعد ذلك بتجنيد الأدب ليلعب دورا في تلك الآلة الدعائية الضخمة التي جُندت لتخدم هدفًا واحدًا وهو اختراع شعب لسرقة أرض.

لغة كتابة الشعر اليهودي

تناولت أقلام عدد من الباحثين تلك المعضلة بالدراسة والمناقشة والتحليل،بأي لغة كتب الأدب العبري؟هل بالعبرية بداية وانتهاء؟أم بغيرها من اللغات،خاصة أن اليهودي كما تذْكر المراجع أينما حل اصطنع لغة البلد التي يقيم فيها؛يتكلم ويتعلم ويكتب بها "حدث الشيء ذاته في هولندا وألمانيا وإيطاليا وبقية البلاد الغربية"[١٤]. أما اللغة العبرية التي يكتب بها الآن كانت لغة الدين والصلاة فقط "تلك الأراضي عاشت في قلب اليهودي عبر الأوصاف الشاعرية التي كانت موجودة في كتب الصلاة،والتي أضحت خبز اليهودي اليومي"[١٥].

في بقعة من الأرض تجمع عدد من اليهود يتحدثون لغات عدة، ما يفرقهم أكثر مما يجمعهم "إن الخطر الذي يهدد كيان إسرائيل من الداخل ويقضي عليها أخطر من الخطر الخارجي"[١٦]،تمثل هذا الخطر في تعدد الجنسيات واللغات.في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تواترت الأحداث السياسية العالمية[١٧] وارتفعت الأصوات المطالبة بالعمل على العودة إلى أرض صهيون مهما بلغت التكاليف وتراكمت العقبات والصعوبات؛وتحقيق ذلك كفيل-كما يزعمون-ببعث الشعب اليهودي.لتأكيد الفكرة وبلورتها وإكمال مقومات الشعب؛الأرض واللغة،اصطلح على إحياء اللغة العبرية كلغة رسمية و"خصوصية التجمع البشري الاستيطاني في فلسطين الذي يتحدث سكانه الآتين من تشكيلات حضارية شتى اللغة العبرية"[١٨] ؛لغة التأليف لأدب أخلاط تمكنت بالحيلة والمكر والخديعة وكافة وسائل الظلم والعدوان من فرض وجودها على المجتمع الإنساني والتي هي بمثابة "الإطار المرجعي لهوية المجتمع الثقافية"[١٩].

الآخر من كلماته/ تأوهاته/صرخاته/أحلام:الإسرائيلي بقلم الإسرائيلي

تمثل الآخر مهمة شاقة ومعقدة وبالغة الصعوبة[٢٠]،حيث تستلزم درجة من الوعي والتقدم في آن واحد.وتتحكم في تلك العملية مجموعة من المحددات الثقافية والاجتماعية واللغوية وكذلك السياسية" ولهذا فإن القدرة على تمثل الآخرين،فضلا عن كونهاعملية شاقة،ليست متاحة لأي

ثقافة كانت إلا إذا بلغت تلك الدرجة من التقدم على المستويين؛ الغلبة على المستوى السياسي،والتحضر الثقافي."[٢١]

إن محاولة إضفاء صفة الإنسانية على المجتمع الإسرائيلي،والتعامل مع الآخر والمجتمع بصفته الإنسانية،فهو-شئنا أم أبينا- مجتمع كأي مجتمع آخر، حيث " الإسرائيلين في نهاية الأمر بشر،يمارسون إحساسهم بأنفسهم،ولهم إدراكهم المباشر بالواقع،وهو إدراك يتخطى أحيانا حدود العقيدة الوهمية المفروضة عليهم،ويتخطى الواقع الوهمي الممول إمبرياليا،إلا أنهم يعيشون تناقضا حادا بين فرضيات العقيدة الصهيونية،وبين إفرازات المجتمع الإسرائيلي"[٢٢].قد يكون لهذا المجتمع سمات خاصة نتفق معها أونختلف،تنال إعجابنا أومقتنا، لكنه في النهاية قد أصبح واقعا– أليما-كأي مجتمع إنساني آخر له همومه ومشاكله وقضاياه بتناقضاته النفسية ومشاكله ونجاحاته وإخفاقاته.

الإسرائيلي شاعرا

من السمات الجوهرية التي تميز الأديب عن غيره من البشر أنه مدمن التحليق بخياله عبر الواقع لينظر ما وراءه من مجهول،فيرى الممكن والمحال ويصورهما،يرى العجيب والغريب ويصورهما،يرى الممكن والقريب ويصورهما،وكثيرًا ما كانت المخترعات الحديثة حلمًا يطوف بخيال الأدباء . . والأديب الإسرائيلي إنسان يحلم،ويصور حلمه على شكل قصائد.وقد رصدت مجموعة من المقطوعات الشعرية لعدد من الشعراء الإسرائيلين تدور حول مضامين خاصة تجعلها ظاهرة نادرة ومغايرة في الفكر اليهودي/الصهيوني-في الآداب العالمية..إذ تدور حول أغراض محددة تتناول الحرب بشكل من الأشكال؛مثل البكاء على قتلى الحرب/ذم الحرب وكراهيتها/الحقد والغضب تجاه العرب بزعم أنهم المتسببون في الحرب/استشراف حياة أكثر أمنًا في المستقبل/التذرع بالدين وفكرة الخلاص

هذا وقد قام مجموعة من الباحثين بترجمة كثير من النماذج الشعرية بدءًا من مرحلة الشتات اليهودي،وطوال العقود التالية،حتى وصلوا إلى يومنا هذا[٢٣]،ونتناول بالدراسة عددا من تلك الأغراض ترتبط في مجملها بحرب السادس من أكتوبر، وما أحدثته من متغيرات في المجتمع اليهودي،آملين أن نفهم فهما مغايرا لتلك الشخصية،وقراءة ما بين ثنايا تلك الأشعار،وإدراك مراميها وأبعادها..وأمامنا تسع قصائد مترجمة تغطي فترة ما بعد حرب أكتوبر،وحتى الانتفاضة الفلسطينية عام١٩٨٧م،نرصد فيها آمال شعراء إسرائيل تجاه المستقبل،بعد أن تعددت المواجهات بينهم وبين العرب

تركت حرب السادس من أكتوبر/العاشر من رمضان آثارا سلبية في نفسية الإنسان الإسرائيلي[٢٤].واستدعت ضرورة إعادة الحسابات من جديد في ضوء معطيات جديدة لم توضع في الحسبان قبلا.حرب السادس من أكتوبر-التي عايشناها صغارا-كانت بمثابة زلزال مدمر هز الأرض تحت أقدامهم، وأدت إلى انشقاق وتنافر بين مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية،فضلا عما سببته من انهيار اقتصادي عبرعن نفسه في صور عديدة مما دفع الجماهير الإسرائيلية لرفع راية الدعوة إلى التغيير.ولم تكن الساحة الأدبية أقل حظا من الساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهذه الساحة التي عاشت قبل حرب أكتوبر فترة لا بأس بها من نشوة الانتصار،آلت بعد هذه الحرب إلى انكسار" أدى بأحد النقاد العبريين إلى أن يستنكر تلك

الروح السائدة بين الأدباء العبريين فقال (لقد أدت الحرب إلى حالة من الارتباك الشديد وهو ارتباك ينسحب على الأدباء كذلك ، إنني لا أستنكر الحيرة أو الارتباك..غير أنه لا بد وأن نقرر أن الحائرين المرتبكين ليس في مقدورهم أن يكونوا هداة أو مرشدين للحائرين. إن الأدباء مازالوا مستمرين في إظهار استجاباتهم تجاه الأحداث التي وقعت كل حسب وجهة نظره...وبينهم قلة تجاهد لكي تشجع الشعب وتؤازره في محنته...غير أن هناك في الوقت نفسه آخرين عديدين يضيفون أحزانا إلى أحزان. لقد اهتزت ثقتهم اهتزازا شديدا فراحوا يزرعون اليأس حولنا ، الأمر الذي ينطوي على خطر شديد يهدد مستقبلنا"[٢٥]

القراءة الأولية للشعر الذي بين أيدينا تبين أن القادم مغاير تماما لما مضي،وما كان مشرقا لامعا براقا أصبح وجهًا قاتمًا تملؤه الهموم والغيوم/وجهًا أسود غبرته نيران وأتربة الحروب،وجهًا متشككًا في الأمل/وجهًا يبصر بيد أنه لايرى/يمد يده فلا تحفظ شيئا كباسط كفيه إلى الماء، وأخيرا، وجهًا يتلمس الأمل متمترسا خلف تدينه وأحلامه عله يجد النجاة والخلاص.

أولا : الوجه القاتم

الحروب لليهودي هي بمثابة تجسيد ومتنفس حتمي وضروري للروح العدوانية الساعية دوما للانتقام "تعبر عالمة النفس الإسرائيلية عاميا ليبليخ عن هذه الظاهرة التي لازمت الوجود الصهيوني على الأرض العربية بقولها : إن التعايش مع الحرب – أو حسب أقوال الشاعر ناتان الترمان " الحياة على خط النهاية "كان وما زال جزءا رئيسا من حياتنا منذ إقامة الدولة وكذلك في الفترة السابقة عليها.ولكن، الخوف من الهزيمة- الذي معناه موت الأعزاء علينا وربما ما هو أفظع من ذلك – قد زاد بعد حرب يوم الغفران"[٢٦] .

الحرب فكرة ملازمة لذلك الكيان قبل قيامه وبعده.ماحدث هو تحقق مخاوفهم والسقوط في فخ الهزيمة يوم الغفران مما حدا إلى تغير النظرة .الحرب لم تعد رفاهية؛يذهبون ويعودون،اليهودي–ولا أعني هنا الساسة والقائمين على الحكم-لم يعد يرى غير الحروب وما ينتج عنها من موت ودمار شامل،ولا يلمع أمامه أي بريق للأمل..يمثل الشاعر(دافيد أفيدان)[٢٧] وهو ينزع في أشعاره إلى التعبير الحذر المتحفظ والملاحظة الحرة للواقع.في إحدى قصائده يرصد ماعاينه وشاهده وكابده، حيث يرى في الشباب صغار السن أنهم ذاهبون إلى الحرب بلا عودة,وهذا من وجهة نظره قضاء على الأمل الذي ينعقد بشكل خاص على فئة الشباب،أليس الشباب هم الأمل وعدة المستقبل .. يقول في قصيدته :"تعليم ثانوي إلزامي ١٩٧٣ دورة ختامية " ما يأتي:

شاب ينهي دراسته الثانوية سيضار
ليس الأمر ملحًا بالنسبة له ولا يجب أن يتعرض لضغط
سيكون بين من يَضربون ومن بين من يُضربون (٥[٢٨]

وهذا يعد تمهيدًا للقصيدة عرض فيه حالة ذلك الشاب الذي مازال في تعليمه الثانوي،ولن يمهل لإكمال تعليمه،حيث يؤخذ من الدار إلى خط النار،يلقى به في أتون حرب غالبا لن يعود منها. ثم ينتقل إلى السبب الذي أدى بشباب صغار إلى هذا المصير..إنه نظام التنشئة،والقيم التي يتلقاها منذ صغره ..يقول:

لقد تربى على أن يكون سيدًا بين عبيد

نعم،هذا ما يتعلمه ويدرب عليه ويهبأ له أنه سيد آمر يجب أن يطاع ، وما الحرب إلا نزهة يعود منتصرا وقد دحر من توهم واصطنعهم أعداء. هل تحقق ما تعلم وتربى عليه؟تأتي النهاية الأليمة والطبيعية في آخر القصيدة لتسلب القارئ ما عساه يحزره من أمل وتنقلب الصورة إلى قتامة وعتمة..يقول:

شاب ينهي دراسته الثانوية يعود في تابوت موتى
يغسلونه بالماء
يخلعون عنه زيه العسكري
يدفنونه كاملا بين اليهود

فتتحقق المفارقة بين الشباب الذي يجسد الرغبة في الحياة,والحرب التي ترادف الموت. المفارقة بين ثقة الفوز ومرارة الهزيمة وقد قضت على عود أخضر،حلم بمستقبل يحقق ويبلور ما وقر في ذهنيته،فإذا الموت يفجعه ويتم دفنه طبقا للشريعة اليهودية،إنها دورة ختامية.

يتفق يعقوب باسار في الرؤية ذاتها ويرددها في قصيدته" الحرب القادمة":

الحرب القادمة.. ننشئها .. نربيها
ما بين حجرات النوم وحجرات الأولاد
النعاس آخذ في الاصطباغ بالسواد
ونحن في فزع من الاقتراب منه

إنه الاستعداد الدائم للحرب،وجعلها قاب قوسين أوأدنى.ينتظرونها، ويتعهدونها بالتنشئة والتربية،ثم يخافونها.لم يدر بخلدهم أنهم سيصطلون بنيرانها،وينتابهم الرعب حين اقترابها،إنها الحرب ياسادة!

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضربتموها فتضرم[٢٩]

وتتجاوز الحرب وكراهيتها الصغار إلى الكبار،يقول حانوخ ليفين في قصيدته"أنا وأنت والحرب القادمة" والتي تعكس إحساس المجتمع اليهودي وإنهم يعيشون–كما تقول عقيدتهم-في حالة حرب دائمة أو في انتظار حرب أخرى،الحرب هي الصاحب والرفيق،الحرب هي الطريق:

حين نتنزه نكون ثلاثة
أنا وأنت والحرب القادمة
وحينما ننام نكون ثلاثة
أنا وأنت والحرب القادمة

وتقضي الحرب على الأحلام والآمال،وتدع أشباه بشر،وقصيدة دان عومر"في سن الثلاثين"[٣٠] تصور ذلك؛حروب وآمال ضائعة ونفوس مشوهة،ومجموعة من المفردات ذات العتمة والدلالات القاتمة؛المهجور،البالية،الجفاف،العزلة،الأشواك،يقول فيها:

في سن الثلاثين أنا كالبيت المهجور
تصفر بين أحلامي رصاصات الحرب
وأسمال بالية
تجفف في داخلي قطرات الدم

دم عزلتي
مشاعري مدافع عديمة الإرجاع
في سبطاناتها تنمو أشواك صفراء
تقصفني من الداخل

مشاعر من القهر والإحباط،مع فقدان الرؤية والقدرة على التمييزوالارتماء في أحضان الهزيمة. حنين إلى يوتوبيا ضائعة من ناحية،وإقرار قلما نجده في أشعار ماقبل السادس من أكتوبر،وبرزت واضحة جلية في تلك المترجمات.

وتمر السنون ويظل أثر حرب السادس من أكتوبر،وتظل الرؤية المستقبلية قاتمة في نظر الشاعرة عدنا شبتاي حيث تتصور الجنود الإسرائيليين محاصرين بنظرات الفلسطينيين,التي لا تدعهم في راحة..تقول الشاعرة في قصيدة (أراكِ معي):

دخان من كل صوب
ونار سوداء في داخل عينيك
وأنا قريب منك
يراقبني ويطاردني بؤبؤ عينيك
والمناطق حتى الآن مشتعلة
الآن داخل المدينة

قلب الحقائق هو ديدنهم"فالأدباء العبريون يصورون الفلسطينيين قاتلين متعطشين لسفك الدماء دونما دافع! بينما يصورون بني إسرائيل أناسا مسالمين طيبين محبين للخير ولكنهم مضطرون لخوض الحروب دفاعا عن حياتهم ووطنهم التاريخي ضد القاتل!!ومن عجب أن تسود هذه النغمة إذا ماحققوا نصرًاأولحقت بهم هزيمة"[٣١].فالشاعرة تصور أحداثا قائمة لهم فيها اليد الطولى وهي أحداث كالنار المستعرة لا يمكن لأحد أن يقترب منها أويتحمل لهيبها.بيد أنها تلقي المسئولية على أصحاب الأرض،أصحاب الحق المشروع،في نظرها هم المطاردون الذين يقضون مضاجعهم ويحولون حياتهم جحيما. تمتلئ الشاعرة خوفا ويأسا وتشاؤما،بل يضاف إلى تلك النظرة المتشائمة نبرة فقدان الثقة فيمن بيدهم مقاليد الأمور,مما يزيد الأمر تعقيدًا,ويجعل حلم الوصول إلى اتفاق أمنية صعبة المنال..تقول:

لكنهم يزعمون : "هذاسينتهي!"
نعرف أنهم يكذبون
لكن لم أنصت بعد
لمايقولون
عمي لا يبصرون النار التي حولهم
منغلقون داخل سور الكذب

وفي نبرة مغايرة تدرك الشاعرة دورها الإنساني،إنها لحظة مصارحة النفس قلما نجدها في الفكر اليهودي فهي تحاول أن يصل صوتها إلى المسئولين عما يحدث..تقول:

أريد أن أصرخ : توقفوا!توقفوا

فالشاعرة يعلو صوتها حتى الصراخ ، متوسلة، شاكية من العنت ومظاهر الخراب التي تعيش بين ظهرانيها.

ولكن صراخ الأمل يضيع , حيث لا يلتفت أحد إليه , وتطل القتامة بوجهها الكريه تسد منافذ الرؤية:

أدرك أن شيئًا لا يجدي
أنظر إلى داخل السور
فأرى ـ النار في المدينة .

وإذا كان التشاؤم وفقدان الأمل يتمثل هنا في صعوبة الحصول على الأمن , بسبب الأفعال وردود الأفعال العنيفة , التي تمثل سلسلة متتابعة لا يبدو لها نهاية,فإن الشاعرة الأخرى نيللي ساخس[٣٢] مازالت تتساءل عن أسباب هذا التشاؤم,تساؤلا خياليًا يفتقد النظرة الواقعية..تقول:

لماذا جواب الكراهية الأسود
لوجودك يا إسرائيل؟
أنت غريبة,
غربة نجمة بعيدة عن جميع النجوم
وأعداؤك بدخان جسدك المحترق
يحفرون لإنسانك الفاني
قبرًا في جبين المساء

تساؤل أجوف،ترافقه نبرة الاستعلاء،والادعاء بظلم الغير. نبرة البراءة والمسكنة تتبدى مهما طال الزمن وتغيرت الوجوه، وتبدلت الأقنعة التي هي من الشفافية بمكان فتبرز أكثر مما تخفى. من يكره من؟ السارق أم المسروق؟ الغاصب أم المغتصَبالشاعرة لا تصدر إلا فكرة واحدة كراهة المجتمع المحيط للوجود الإسرائيلي ومحاولة القضاء عليه،بينما هم مسالمون،وادعون،بعيدون عن العنف والاعتداء.

وتدعي الشاعرة العبرية نعمي شيمر أن الدبابات لن تكون أبدًا رمزًا لحمل البرتقال مادامت هي المركبة الجهنمية التي تحمل الموت والخراب وتزرعه في العالم:

ربما سنبحر غداً في سفن
من ساحل
إيلات حتى ساحل العاج
وعلى المدمرات القديمة
سيشحن البرتقال ..

اختلف منظور الرؤية بينما ظلت النتيجة واحدة,وهي الرؤية السوداوية لمستقبل إسرائيل. وقد يستدعي الوجه القاتم أحداثا ماضية،فيسترجع الشاعر آلام المذابح والاضطهاد الذي تعرض لها اليهود عبْر تاريخهم،فيقول:

وثانية:(أحقًّا يعيد التاريخ نفسه؟!)[٣٣]
عينا عجل خاويتان في بلاهة
ضحية عالم

وكل شيء أصم
وثانية تجتر الأرض
وتأخذ سمة القسوة!

لاأعتقد أنها حالة من جلد الذات؛حيث نسيت أو تناست ما حدث في الماضي–كما يزعمون- واستغرقها جنون العظمة،ونعرة التفوق العسكري فيجيء صوت الشاعر مذكرا بما كان.

أدباء العبرية يميلون غالبا إلى عقد المقارنة دائما في صفات العفة والطهارة والجلال والوقار ومن البديهي أن تكون تلك الصفات الإيجابية من نصيب بنى إسرائيل أما الصفات السلبية فتكون من نصيب غيرهم فالعنف والظلم والجهل والجهالة وغير ذلك من الصفات التي تنطلق جميعها من عقيدة واحدة تسببت فيما حدث للإنسانية كلها من أهوال وهي عقيدة " شعب الله المختار"[٣٤].

ثانيًا : التشكك في الأمل

لا يزال الشاعر نفسه يحلم وينسج من حلمه القصائد,ويقدم بريقًا حييًا يكتنفه الغموض،ربما لأنه جاء من منطقة شبه مظلمة هي منطقة الحلم,وربما لأن صاحبه ليس شديد الاقتناع بجدواه..في قصيدة بعنوان(أقنعة الجد البيضاء)تتناثر المفردات الدالة على الإحباط واليأس مثل (ليالِ خريفية ذابلة/فروع الأشجار الحزينة/حزن الأوراق الذابلة المتساقطة/غبار ضباب كثيف/اختفت الألوان من الحدائق/لم أدع سوى الحزن/لكن شبح العمى والموت يسكن أهدابكم)ومن خلال هذه الكآبة المهيمنة على جو القصيدة,تبزغ النهاية فجأة وكأنها فاجأت الشاعر نفسه حين يقول:

إلا أن عيني تريان في وضوح بديع:
أقواس قزح مختارة ..
ترف على حقول المساء.

لا تصريح بنوع معين من أنواع الأمل،لكنه أطياف ألوان تلوح في الأفق،تبشر(بقرب الخلاص)غير واضح المعالم .

ويراود الأمل الشاعر يوحنان غيشكلاي[٣٥] في قصيدة أسماها(المبشر بالمسيح)غير أنه لا يلبث أن يغمره اليأس من الخلاص والخروج من مأزق الهزيمة:

حينئذ،همسا فقط، \زف الخبر،
لم يتمرد الإنسان على قدره الرهيب
لم يتجرأ كذلك،على الانعتاق بتفاخر،
لا ثورة،لا شيء، فقط يأس.. خراب

انعدام الثقة في مستقبل آمن تجلى في مفردات الشاعر،فهو يهمس لا يصرخ أو يرفع الصوت قليلا،ويهاب التمرد، بل يهاب السعي إلى الحرية،فإنه إن فعل فلن يجد إلا الخراب والدمار. وتغلب عليه الفردية والارتباك

ثالثًا : الإيمان بالأمل

طائفة من الشعراء ترى مستقبلا أفضل،غير أن طريق تحقيق هذا المستقبل ليست طريقًا واحدة؛يرى بعضهم حلا ميتافيزيقيًا،يرتكز على عقيدة يهودية هي(الخلاص)على يد المسيح-عليه

السلام-،بينما يرى آخرون أن الأمل ينبت من رحم اليأس الواقعي،فالحل يخرج من الأرض لا ينزل من السماء .. وفريق آخر يرى الخلاص في السلام.

الشاعر يهوشع طن بي في قصيدته "كلمة الرجل البسيط"[٣٦]. تفوح من القصيدة-منذ بدايتها- رائحة الجو الديني المشبع بالتقديس فنقرأ (الملائكة/العصافير/البيت المقدس/الآلهة/الخلاص/تترنم) ويخْتِم القصيدة ختامًا مباشرًا..حيث يقول:

كل شيء يتواثب..يتراقص
كالنار المندلعة ولا تخبو
كالملائكة التي تترنم في
الهزيع الأخير مِن الليل
كالعصافير التي تتواثب
الجبال ترقص كالآلهة
كل الأشياء تهرول في جنون
سنوات مجنونة كاسرة
أجيال مجنونة كاسرة
اقذفوا الماء على النار
التي أمسكت بالبيت المقدس
نادوا الملائكة
أن تترنم في الهزيع الأخير من الليل
فالأمل في مجيء المسيح
في مجيء الخلاص... أبدًا لا ينقطع
فالأمل في مجيء المسيح
في مجيء الخلاص...
أبدًا لا ينقطع.

وللتشبث بالأمل وانتظار مجيء المسيح اليهودي للخلاص مِن الاضطهاد والذلة والشتات،عقيدة يهودية يورثها الآباء للأبناء[٣٧] ،وتدور مع كلمات الشعراء؛الثقة،الأمل،متيقظا،حالما،نبي منير.يدعو الشاعر يوحنان عشكيلاي للإيمان بالمستقبل،والثقة أن المسيح لا بد من أنه سيحتضن اليهود،لذلك يجب العمل للتغلب على جميع العقبات في سبيل ذلك:

ثقة عظمية لم تنفجر بكاء.
لم يكن هناك شوق،أو أمل قوي
ينقذ للغد نفسه،
فلا أحد ينتظر المسيح بارتجاف،
لا متيقظا، ولا حالما ـ بنبي منير-

فكرة الانتقاء والتمييز لا تزال تراودهم، ولا تفارق خيالاتهم، وتستقر في أشعارهم كما استقرت في عقيدتهم ووجدانهم .

ويتجاوز الأمل في الخلاص القادم من السماء،لون آخر من الإيمان بالخلاص الدنيوي، يمثله طائفة من الشعراء. فهناك الخلاص بالعمل، في قصيدة "إلى قائد الرقص"[٣٨] يوجه "بياليك"سخريته إلى هؤلاء الفازعين، القانطين،اليائسين،البائسين من اليهود الذين تركوا العمل بما جاءت به التوراة،وما تدعو إليه الأديان السماوية من الكد في سبيل الرزق.يخاطبهم بسخرية بالغة قائلا:دعوا العمل والكد وارقصوا متواكلين، فإن في السماء إلهًا يرزقكم من غير أن تعملوا وتكدوا، وما عليكم إلا أن ترقصوا تحية له:

لا لحم،لا سمك،لا فطير،لا خبز
ولم هذا القلق واليد خلف الظهر؟
يوجد إله في السماء، وهو القادر على كل شيء
لاسمه نرفع قدما، نقوي الرقص
نفسنا الغاضبة، قلبنا المشتعل
يسكب اليوم في رقصنا الملتهب
رقص صاخب بأصوات وبرق
لتفزع الأرض، وتغضب السحب.

لفرط غرورهم وثقتهم أنهم شعب الله المختار،تركوا العمل،وتفرغوا للهو اتكالا-في رأيي أنه نوع غريب من الإيمان- فالأديان تدعو للعمل والسعي وإيمانهم-كما يسخر الشاعر-يدعوهم للتكاسل والقعود.

يكمل الشاعر تهكمه وسخريته بنداء ورجاء، قائلا:

لا أخ،لا قريب،لا عم،ولا مخلص
على من تعتمد، من تسأل؟
فلنلتصق معا،ليمتزج كل رجل مع أخيه
ولنتماسك بقوة

فقدان الدعم المعنوي المتمثل في الأهل ، يشكل مأساة لدى الشاعر.إنه يبحث عن الملاذ الآمن، فلا يجده إلا في التكتل والتوحد؛ فلنلتصق،ليمتزج، لنتماسك، هذا هو السبيل للخلاص وتخطي المآسي،والخروج من مأزق الهزيمة ومرارتها المعنوية.

ينصب اهتمام(يهودا عميحاي)على أمان شعبه،على الرغم من الظروف السيئة التي تحيط به،فهو يرى أن المنجزات الصهيونية على أرض فلسطين تطلبت الكثير من التضحيات،ودفع ثمنها من أمن المواطن .يقول[٣٩]:

هذه هي الأرض التي غطيناها بالحقول
والغابات..
ولم يكن عندنا وقت لتغطية وجوهنا
فهي عارية بتقلص الحزن وتقطيبات
الفرح.

وعلى الرغم من ذلك,فإن التضحيات لم تضع هباءً,وإنما كانت كالقرابين التي يستجلب بها الخير والبركة..

هذه هي الأرض التي يسكن الأموات
تربتها..
بدلا من الفحم والذهب والنحاس
وهم الوقود لمجيء الخلاص.

فهناك تزول المتاعب,وتفقد مرارتها الكئيبة,ويحل بدلا منها الشعور المحبب بالسعي نحو الهدف المقدس,حيث يصبح العذاب عذبًا،ويطل المستقبل يحمل الأمل:

نادوا الملائكة
لأن تترنم في الهزيع الأخير
من الليل..

وهناك الخلاص بحل القضية وقبول الآخرالذي هو صاحب حق أصيل.يقف على هذا الجانب مجموعة من الشعراء رأت في وسط كآبة الواقع وقتامته أشعة تبرق بأمل في المستقبل,وهذا الأمل سيحقق الطمأنينة والراحة لكلا الطرفين المتنازعين..

و يتبلور لدى بعض الشعراء الأمل في مستقبل أفضل،وذلك عن طريق التعاطف مع قضية الآخر. و التعايش معها بوصفها قضية مشتركة، وبوصف الطرفين شريكين في طريق واحدة. وقد تجلت النزعة الإنسانية لدى هؤلاء الشعراء بنسب متدرجة..فبينما ينظر (عيلي آلون)إلى أطفال الحجارة على أنهم أمل شعبهم في إقامة دولة فلسطينية، ويبدي تعاطفه مع قضيتهم، يتفاعل(إيتان كلينسكي) مع قضية فلسطين بوصفها قضية ذاتية، فهو ينظر إليها من الداخل، ولذلك جاء التعبير مختلفًا..يقول (عيلي آلون) في قصيدته(طبق من الفضة)[٤٠]:

عندئذ قام الشعب الذي يفيض دمعًا وسحرًا
وقال:من أنتم؟والأولاد هادئون
يجيبونه:نحن طبق الفضة
الذي عليه تقدم لك دولة فلسطين
هكذا يقولون ويسقطون على قدمه يغطيهم الظل
والباقي سيروى في تاريخ إسماعيل

التناول هنا تناول لغائب؛ بصفتهم وفعالهم، هم الأطفال (هادئون/يقولون/يسقطون/يغطيهم) فيظل التعامل ـ مهما كان إنسانيًا ـ تعاملا من الخارج ، وتعلو أبياته نظرة متسامحة بعض الشيءفي وصفه للشعب الفلسطيني "الشعب الذي يفيض دمعا وسحرا"لا من يترصدهم ويقتلهم . تكمن المبالغة في وصفه الحل السحري القادم فوق"طبق الفضة" فالطريق وعر ، والحل بعيد المنال، وأي حل هذا القادم فوق أشلاء أطفال لا ذنب لهم !.

بينما يغوص(إيتان كلينسكي)[٤١] في قلب القضية،ويتم التوحد بينه وبينها عن طريق استدعاء (هاجر) أم العرب،وتوجيه مناجاته إليها،وعن طريق الاستحضار والتآلف،والحديث بضمير المخاطب،وتصل الرغبة في التوحد إلى ذروتها في نهاية القصيدة،ويصبح أمل الفلسطينيين هو نفسه أمل الإسرائيليين..يقول

هاجر-
ضفائر دمكِ في دمي

تموجات صوتكِ في عروقي
حيثما توجهت أحمل
أنينكِ الحائر

رغبة عارمة في الامتزاج والتواصل،تتصاعد مع أبيات القصيدة،حتى تعلن عن الحلم المنشود لكلا الشعبين .. يقول الشاعر :

بعزلة حذرة
قطعة من وطنى تنظر إليك
تتطلع
إلى بعث
أبنائكِ
ففي بعثهم
بعثي

ظهرت هنا ضمائر المتكلم (ياء المتكلم/تاء الفاعل)بكثرة تدل على قوة الحضور العربي في مخيلة الشاعر،باستدعاء الرموز فهاجر أم اسماعيل،واسماعيل أبو العرب. ويظل الأمل في البعث الحيوي يعد كلا الطرفين بحياة أفضل.

وسيظل طابور الحالمين بغد أفضل متصلا،قد يبزغ الأمل قويًا عند أحدهم،لكنه سرعان ما يحبطه الواقع المؤلم .. نقرأ:[٤٢]

انظر النجم الذي يخفق هناك
من بحر الليل والسماء
في دائرة الخلود هو
وهو الذي سيقودنا من العناء
إلى الخلاص ..
يقول الرابع وهو يبتسم
"تعالوا نؤمن"

نتلمس في الوجه الأخير توجها إلى السلام. هل أدرك هؤلاء-أخيرا-أن الحروب لم تجلب لهم سوى الألم والعذاب والفقد.فالأحداث والحروب التي واكبت إنشاء تلك الدولة،أثبتت عدم جدوى هذه الأساليب العدائية في إحلال الأمن والأمان والراحة .فما زادت الحرب حياتهم إلا تعقيدا؛لهم ولمن حولهم.

هل بإمكان اليهود تغييرهذا السلوك والتخلي عن تلك الروح العدائية حتى لا يظل الرعب والخوف سيدي المشهد لجميع الأطراف. هل يتخلى اليهود عن إشعال نيران الحروب التي تجر الويل والهلاك والدمار لجميع الأطراف،"وقد ظهرت بعض الأصوات الشعرية التي رأت في السلام الخيار الأفضل بين الشعوب،وأن الحرب مهما طالت،ومهما تحقق من انتصار لأحد الأطراف المتحاربة،فلن تأتي بالاستقرار أو الهدوء للشعوب"[٤٣]

الشاعر اورتسيون برتنا يتبنى هذه الدعوة في قصيدة بعنوان:"لقاء على الرصيف ":

على رصيف التقينا/أرض متحجرة/في غابة/يحيط بالنعش ظلامها/كنهر بعد المعركة/ يسدل الستار على زمن مضى/وتعود المياه/إلى التجاويف/فوق السحاب/الجبال تعلوها الأحزان والأخطاء/دعنا نعبر نحو السرور/ليكن بعد مهب الريح حشدنا/والعيش والجحور/مواصلة التعنت يعني/الغرق../والسقوط/واللقاء ثانية/على الرصيف.

ويأتي صوت الشاعرة:حدفاه هركابي في قصيدة "أريد رجلًا بلا قوة!"[٤٤]،جديدا فيبزغ أفق جديد لجيل رافضا للحرب داعيا إلى التخلي عن القوة والعنف،ترفض الشاعرة الصورة المحببة والأثيرة والمفضلة للإسرائيليين،صورة الإسرائيلي القوي العدواني،متحجر القلب،متجمد العواطف،القاتل بلا شفقة أو ندم،وتعلن صراحة وبلا مواربة،في جراءة تحسب لإمرأة ، أنها تريد رجلًا بلا قوة عسكرية،يأخذها برقة،يريها الصواب والخطأ،يدلها على الخير والشر،يرافقها ويصاحبها إلى السلام،وتجنب الآلام والأحزان والمرارة،حيث تقول:

أريد رجلًا بلا قوة
يأخذني بكل قلبه
ويأخذ نفسي له
كما يشتهي ويروق له
يملك مقاليدي...برقة
بحب ليس له مثيل
مِن أول السماء إلى نهايتها

الشاعرة تعبر عن صوت المرأة اليهودية،هي لا تريد محاربا أوفي استراحة محارب،لا،هي تريد رجلا تسكن إليه وكأنها تستلهم القرآن الكريم في قوله تعالى:" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[٤٥]،ولاغرابة في ذلك فالسلام والمحبة أساسا الكون وما الحرب إلا استثناء. تقول الشاعرة:

أريده يسكن معي
في كل دروب الشمس
في كل زوايا الشمس
في كل أطرافها
يريني الخير...والشر
وكيف يبزغ النور
وكيف تهب الريح الرقيقة
أريد رجلًا بلا قوة
السلام أمر هو الغاية
ولا غاية له .

الحب والحرب لا يجتمعان.بينما تعاش الحياة بكل مافيها من أحزان وآلام،البحث عن الهدوء والسكينة هي رغبة دفينة في قلب كل منا مما يتطلب السعي والتنقل من موضع لآخر،الشاعرة تلهث وراء ذلك طامعة أن ينصاع الكون لرغبتها فما تريده هو السلام.تقول الشاعرة :

لذا فإني أقول
الحزن هو مجرد حزن
والألم ليس سوى الألم
حتى الجبال يمكن أن ترق
أحيانًا حينما أرى، كيف
تنتهي أرض...
وكيف تبدأ أرض أخرى
أحلم بالسكون وبكل أسبابه
غريب أن حجرًا مالحًا (ومذاق الملح يشير إلى المعاناة)
موضوع في وسطها
وأن أعشابًا برية وحشية
تنبعث مِن كل أرجائها

ختاما تردد الشاعرة مطلبها، غايتها، أمنيتها،فهو البداية والنهاية وهو الأمل المنشود وهوطريق الخلاص والأمل في النجاة من نيران الحروب وويلاتها:

أريد رجلًا بلا قوة
يأخذني بكل قلبه

خاتمة

- مما سبق من أشعار لشعراء وشاعرات إسرائليين/يهود/عبرانيين فقد تقلبت بهم الأسماء وتشتت بينهم التصنيفات، ويقع الباحث في حيرة من أمره بأي اسم يناديهم؟ بأي صفة يتعامل معهم؟ فتارة نقول يهود، وأخرى إسرائليين، وثالثة عبريين، ولا نشير بتلك المسميات إلا إلى من جاء عاديا سالبا لأرض إنسان آخر، وأفضى الأمر إلى قضية معقدة، تشابكت خيوطها وتعقدت، وعلينا التعامل مع ذلك إلى أن يشاء الله.

من خلال الترجمات الشعرية السابقة، برزت التوقعات للمستقبل موزعة على حقول ثلاثة:
حقل لا يرى في المستقبل إلا امتدادا لآلام الحاضر، وحقل يحلم بالأفضل لكنه لا يملك مقومات الحلم، بل إن سيطرة الواقع ومعطياته تشكك في إمكانية التغيير، وحقل ترك العنان لحلمه كي يحلق حرًا طليقًا يرسم أفق البهجة رغم لون الحاضر القاتم -
فتحت الدراسة أفقًا إلى عالم(الآخر)، فوسعت الدائرة المعرفية التي تحمل دلالة المشاركة الإنسانية في الهم والألم، وأن ذلك الآخر-مهما اختلفت مناظير الرؤية-فإن الشعر بوسعه أن ينطلق من المنطلقات ذاتها،ويحلم الحلم ذاته - بغض النظر عن لغة ذلك الحلم،أوجنسه.وتبقى الترجمة والأدب المقارن بمناهجه المتعددة،أحد أهم الخيارات المطروحة على ساحة محاولات التفاهم والتعايش الإنساني.
وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

- تتسم الشخصية اليهودية بمجموعة من الصفات والنزعات والميول تبدو واضحة بارزة أمامنا مع مزاج سوداوي و تفضيل الظلام ينعكس في مفرداتهم الشعرية.

مع نبرة الانكسار الظاهرة في أشعارهم،إلا أنهم لا يترجمون أحاسيسهم إلا بما وقر في نفوسهم صغارا وشبّوا عليه فتيانا ومارسوه كبارا..الحرب هي حياتهم ومبتغاهم..لايكترثون للآلام التي يسببونها للآخرين...إضافة إلى نبرة الاستعلاء والازدراء وإلقاء اللوم على الآخر فهم تماما. وللشاعر العبري ناتان الترمان قصيدة تعالج موضوع شرعية الحرب وحتميتها بعنوان" لصباح غزو"حيث يدعو الشاعر إلى الحرب باعتبارها الحل الوحيد الذي يجبر العرب على الاعتراف بحكومتهم ويعرف العالم، والعرب خاصة، من خلالها من هم اليهود:

من سيعرف بحكومة الشعب الحالية؟/موسكو؟/واشنطن؟/زمن لا تبقى حلوله/ولكن غدا،سيتضح ذلك للدولة في الحرب/وإذا ما تقرر أن يعترف بها العرب أولا".

ـ تكشف الأشعار المترجمة محل الدراسة-وهناك غيرها كثير-الآثار النفسية التي تركتها حرب السادس من أكتوبر على الإسرائيليين،وهي تكشف عن هبوط حاد في درجة الثقة الإسرائيلية بالنفس وعن تحطم جدران الثقة والعظمة،والانهيار في المعنويات،وعن الصدمة الشاملة لمفاهيم الحصانة وأسطورة الجيش الذي لا يقهر. إنه يقهر ويتحطم في وقت قياسي.وقد عبَّرت القصائد الشعرية عن حالة الهلع والفزع التي أصابت الإسرائيليين مِن جراء الهزيمة القاسية غير المتوقعة.

- رغم نبرة الألم والأسى والحزن، رغم قتامة الكلمات، رغم نغمة الانكسار،لم أتعاطف في مجمل الأمر مع تلك الأشعار.لم أر فيها سوى قناع قد سقط بقوة، كاشفا عن خواء نفسي،خلفه شتات لم تعوضه أرض مسلوبة وحق منهوب.

-من خلال قراءتي للنصوص الشعرية المترجمة لا اجد فيها اختلافا عما ينتجه الشعراء العرب تجاه الصراع العربي/الإسرائيلي من وجهة نظرهم وهو تذكير بأننا متشابهون فحالات الحزن والخوف والقلق النفسي والكره والاشتياق إلى السلام هى موجودة لدى الجميع .

-الترجمة، هناك ارتباطا وثيق بين مستقبل الأدب المقارن وازدهار الترجمة في العديد من بقاع العالم،فدراسات الترجمة تنبع من الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية والأنثروبولوجية والنفسية والاجتماعية والعرقية وغيرها،ودراسات الترجمة تقوم على افتراض أساسي،وهو أن الترجمة ليست نشاطًا هامشيًّا،ولكنها كانت ولا تزال قوة تغيير قادرة على تشكيل تاريخ الثقافة. الترجمة تكون على درجة كبيرة من الأهمية في أوقات التحولات الثقافية العظيمة.كما أن الترجمة يمكن أن تجد الأواصر المشتركة بين اللغات المختلفة التي قد تبدو متباينة من حيث النطق وقواعد اللغة،لكنها تشترك في تجسيد الحالات النفسية والاجتماعية التي تنبع من أحاسيس ومشاعر إنسانية مشتركة.

المصادر والمراجع
١- إبراهيم البحراوي، الأدب الصهيوني بين حربين،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١،بيروت،حزيران ١٩٧٧.
٢-إبراهيم بحراوي بطولات المصريين وأثرها في الأدب الإسرائيلي-مكتبة الأسرة ٢٠١٠م
٣-إدوارد سعيد–الثقافة والإمبريالية،تر:كمال أبو ديب،دار الآداب،بيروت ١٩٩٧م
٤-حفني قدري –الإسرائيليون؟ من هم ؟(دراسات نفسية)القاهرة ١٩٨٤
٥-رشاد الشامي –الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس- دار الزهراء للنشر ١٩٩١م
٦-رشاد عبد الله الشامي - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية – عالم المعرفة ١٠٢-المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب – الكويت ١٩٨٦م.
٧- زين العابدين متولي الشيخ بدوي- الصراع العربي الإسرائيلي في الشعر العبري-مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع٢٠١١م
٨-زين العابدين محمود حسن-مصر في الأدب العبري الحديث، دارالثقافة والنشروالتوزيع١٩٨٨م
٩- صنع الله إبراهيم –رواية أمريكانلي -دار المستقبل العربي ٢٠٠٣م
١٠-عاموس عوز-رواية حنة وميخائيل،ترجمة رفعت فودة،الدار العربية للطباعة والنشر١٩٩٤
١١-عبد الرازق سيد سليمان اسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات- مكتبة جزيرة الورد، القاهرة٢٠١٣م ١٢- عبدالمنعم الحنفي-الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة، بيروت، ط ١ ١٩٨٠م
١٣-عبدالوهاب المسيري،-اليهودية والصهيونية وإسرائيل،ط ١، بيروت،١٩٧٥٥١٤
-الخصوصية اليهودية"،إبداع،العدد الثالث،مارس ١٩٩٥م
١٤-غسان كنفاني- في الأدب الصهيوني- منشورات الرمال مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ٢٠١٥م
١٥-فؤاد حسنين علي– الأدب اليهودي المعاصر،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢م
١٦- نادر كاظم- تمثيلات الآخر-المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت٢٠٠٤م
مجلات
مجلة الدراسات الشرقية.مداد للنشر والتوزيع.
مجلة النبع الصافً العدد١٨٨- ٢٠١٨م
مواقع إلكترونية
١--هانز روبرت ياوس التأويل-وجماليات-التلقي – دراسة تمهيدية-في نتاج– موقع مؤمنون بلا حدود، قسم: الفلسفة والعلوم الإنسانية – ٢٠١٦م
٢- مدونة إيلاف –جريدة الكترونية ٢٠٠١م
http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/images/colimg11.png1
http://www.mominoun.com/articles 2-

[١] تضم كلية الألسن –جامعة عين شمس نحو ست عشرة لغة أجنبية .
[٢] رشاد الشامي –الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس- دار الزهراء للنشر ١٩٩١م – كما برز في مؤلفات : إلياس خوري اللبناني، وعبد الرحمن منيف النجدي(أرض السواد)، وممدوح عدوان السوري(أعدائي)، وزياد قاسم الأردني. بالإضافة إلى كتَّاب آخرين مثل جاسم المطير وأمين معلوف وفوزية شويش السالم. وينظر أيضا : صنع الله إبراهيم –رواية أمريكانلي حيث يصور الشخصية اليهودية في ثوب جديد بعيدًا عن شخصية المرابي وتاجر السلاح ليتحول إلى أستاذ جامعي أي ناقل للعلم والثقافة مع التعاطف مع القضية الفلسطينية وقبول حل الدولتين.
[٣] المرجع السابق نص ١٦
[٤] غسان كنفاني- في الأدب الصهيوني- منشورات الرمال مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ٢٠١٥م ص ١٩
[٥] حفني قدري –الإسرائيليون؟ من هم ؟(دراسات نفسية)القاهرة ١٩٨٤ ص٤٤٠

[٦] فؤاد حسنين علي-الأدب اليهودي المعاصر- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –قسم البحوث والدراسات الفلسطينية - ١٩٧٢م ص ١٤. وينظر أيضا : د/ رشاد عبد الله الشامي - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية – عالم المعرفة ١٠٢-المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب – الكويت ١٩٨٦م.

[٧] المرجع السابق ص ١٧ بتصرف

[٨] المرجع السابق ص ١٨بتصرف

[٩] عاموس عوز-رواية حنة وميخائيل ، ترجمة رفعت فودة، الدار العربية للطباعة والنشر١٩٩٤، المقدمة

١١ كانت حرب ١٩٤٨م نقطة تحول في التسمية وفي عام ١٩٥٢م صدر قانون الجنسية الإسرائيلية . محمد سلامة النحال-سياسة الانتداب البريطاني- حول أراضي فلسطين العربية-بروت١٩٨١ص٧٥

[١١] حرب ١٩٤٨م، و١٩٥٦م، ١٩٦٧م .

[١٢] التأويل-وجماليات-التلقي – دراسة تمهيدية-في نتاج هانز روبرت ياوس – موقع مؤمنون بلا حدود، قسم: الفلسفة والعلوم الإنسانية -- ٢٠١٦ يناير١٨ http://www.mominoun.com/articles . بتصرف

[١٣] يراجع في هذا بالتفصيل : غسان كنفاني – في الأدب الصهيوني- دار منشورات الرمال – قبرص – ٢٠١٥م وينظر أيضا : فؤاد حسنين علي - الأدب اليهودي المعاصر- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٢م وينظر أيضا "د. إبراهيم بحراوي بطولات المصريين وأثرها في الأدب الإسرائيلي الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

[١٤] في الأدب الصهيوني- ص ١٩

[١٥] السابق ص ١٦ – "انطلقت ثورات شعوب أوربا لسنة ١٨٤٨م من باريس (فرنسا) إلى روما وفيينا،ومن هذه الأخيرة امتدت إلى شمال إيطاليا وألمانيا وإلى القوميات الخاضعة للحكم النمساوي،فبفرنسا أدت الأزمة الاقتصادية ورفض الحكومة لإصلاح نظام الانتخابات إلى صراع سياسي بين الأحزاب فتم إسقاط حكم لويس فليب وإعلان الامبراطورية سنة ١٨٥١م، وبإيطاليا أعلن النظام الجمهوري بروما وطردت القوات النمساوية من المدن التي كانت تحتلها والتي طبقت بها دساتير محلية إلا أن النمسا قمعت هذه الثورات،كما تدخلت فرنسا لإعادة البابا لروما،أما بألمانيا كانت للثورة مطالب قومية (توحيد البلاد)،لكنها فشلت بسبب رفض ملك بروسيا الانضمام إليها.موقع http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/images/colimg11.png

[١٦] فؤاد حسنين علي – الأدب اليهودي المعاصر،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢م ص ١٦

[١٧] ينظر في ذلك : عبدالوهاب المسيري،اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ط ١، بيروت، ١٩٧٥

[١٨] د.عبدالوهاب محمد المسيري،"الخصوصية اليهودية"،إبداع،العدد الثالث،مارس ١٩٩٥،ص ١٦-٢٨

[١٩] د.نادر كاظم- تمثيلات الآخر- المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت٢٠٠٤م

[٢٠] ينظر في ذلك :إدوارد سعيد – الثقافة والإمبريالية،تر:كمال أبو ديب،دار الآداب،بيروت ١٩٩٧م ص١٤٨

[٢١] تمثيلاث الآخر ص٤١

[٢٢] الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية،ص ٢٠٦

[٢٣] تم اختيار الأشعار من المراجع الآتية: ترجم إبراهيم بحراوي عدد من القصائد العبرية في كتابه "بطولات المصريين وأثرها في الأدب الإسرائيلي "مكتبة الأسرة ٢٠١٠م ، تم تصنيفها إلى أربعة تصنيفات، الأول تصنيف بعنوان «قصص وقصائد الأحزان والألم»، والثانى بعنوان «قصص وقصائد الاحتجاج على الحرب»، والثالث يحمل عنوان «قصص وقصائد معاداة السامية»، والرابع يحمل عنوان «أدب العزلة واليأس والاغتراب" .وهناك مختارات من الشعر الإسرائيلي المعاصر.ترجمة رؤوبين سنير رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة حيفا .مدونة إيلاف –جريدة الكترونية ٢٠٠١م . وكذلك مجلة الدراسات الشرقية.مجموعة مؤلفين ،مداد للنشر والتوزيع

[٢٤] إبراهيم البحراوي، الأدب الصهيوني بين حربين، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١ ، بيروت، حزيران ١٩٧٧

[٢٥] الناقد هو ميخالي،والاقتباس نقلا عن إبراهيم بحراوي: لأدب الصهيوني بين حربين. حزيران٦٧ وتشرين٧٣. لمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت١٩٧٧م ص ٢٣

[٢٦] الشخصية اليهودية الإسرائيلية ص٢٠٧

[٢٧] ولد دافيد أفيدان في تل أبيب في ٢١-٢-١٩٣٤م وتلقى تعليمه هناك،كان عضوًا نشطًا في حركات الشباب - يعد من مؤسسي اتحاد اليهود والأدباء العرب سنة ١٩٧٤ .حصل على جوائز أدبية عديدة.انظر: عبد الوهاب محمود وهب الله الصعيدي ديوان الحرب والاحتجاج للشاعر دافيد أفيدان - دراسة في المضمون والشكل ٢٠١٨م

[٢٨] مجلة الدراسات الشرقية.مداد للنشر والتوزيع. العدد١٧.ج٢

[٢٩] من معلقة زهير بن أبي سلمى في إقرار الصلح بين عبس وذبيان

[٣٠] ترجمة إبراهيم بحراوي

[٣١] زين العابدين محمود حسن-مصر في الأدب العبري الحديث، دارالثقافة والنشروالتوزيع١٩٨٨م المقدمة ص ٧
للشاعر أ. رؤوبيني في قصيدة "حرب القدس"يحاول الانتقاص من العرب بوصفهم وحوش صحراء ولصوصا اجتمعوا بغرض القتل والسلب
" قام الأعداء من حولنا/ تألبت علينا المدينة والقرية/وفتحت الصحراء فمها/وخرج الفلاحون من كل مآويهم/.. جمعوا من كل مساكنهم/ وجاءوا بالمضارب والحراب/ أدوات نارية مربوطة على جوانبهم/..وحوش الصحراء جاءوا إلى المدينة/من جبال يهودا ومن سهول أريحا/ للقتل للتدمير للسلب"
ويعود الشاعر بعد ذلك لوصف الجيش اليهودي بالأقوياء ويدعوهم لدحر العرب الذين تحكمهم، على حد قوله، قيادات انهزامية حتى إنهم أول من يهرب من المعركة:
حينئذ وصل رجال بني إسرائيل إلى الأبواب/ وصل فلول من أقوياء الشعب/ رصاص شق قلب المتقدمين في الأمام/ انسحبوا، ابتعدوا، هربوا/ الشرطة والنبلاء هم أول من/ هربوا ونجوا بأنفسهم ".
[٣٢] مجلة الدراسات الشرقية.مرجع سابق
[٣٣] مجلة النبع الصافً العدد١٨٨مرجع سابق
[٣٤] "تمثل أسطورة الاختيار،الواردة في التوراة للشعب اليهودي ركيزة أساسية في تحديد مسلك اليهود وحركتهم وانتشارهم بين الشعوب الأخرى في شتى أنحاء العالم،حيث يعني الاختيار القداسة،والقداسة تعني الخصوصية. هكذا أصبحت هذه الأسطورة،(الاختيار الإلهي) ذات تأثير فعال في تشكيل طبيعة وشخصية اليهودي، وحركته بين الآخرين، قديما وحديثا". د.عبد الرازق سيد سليمان إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات- مكتبة جزيرة الورد، القاهرة٢٠١٣م ص ١٣
[٣٥] ترجمة :الكاتب السوري فؤاد أبو زريق ومن مقالاته: الحركة الصهيوني وأدلجة الأدب،القصيدة والرواية نموذجا.
[٣٦] ترجمة إبراهيم بحراوي
[٣٧] انظر:د. عبدالمنعم الحنفي-الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة، بيروت، ط ١ ١٩٨٠م " المسيح المنتظَر: مسيا كلمة آرامية معناها مُنتظَر أو موعود، واليهود منذ بدأ شتاتهم في الأرض بالسبي البابلي حتى اليوم، وهم يَنتظرون مسيا "مسيحًا" يُخلِّصهم مما هم فيه من ذلٍّ واضطهاد،وحين جاء موسى بن ميمون، دخل فكرة المسيح المنتظر في إطار العقائد اليهودية،ولايزال اليهود يَنتظِرون مسيحهم الموعود، ليتوَّج ملكًا على جميع العالم،ويَحكمه من عاصمة مملكته في يهوذا.بتصرف
[٣٨] من القصائد القديمة الحديثة لحاييم نحمان بياليك ١٨٧٥-١٩٤٣.وتضم أعمال بياليك،التي تعكس التزامه نحو النهضة القومية اليهودية واستبعاده ديمومة الحياة اليهودية في أوروبا الشرقية، قصائد طويلة ملحمية تختصر فصولا من التاريخ اليهودي يطلق عليه"الشاعر القومي" أو "شاعر النهضة العبرية"أسلوبا شعريا جديدا يخلو من التأثير التوراتي الكبير الذي تعرض له سابقوه.وتحفظ أجيال من التلاميذ الإسرائيليين أشعاره والتي تم تأليف بعضها خصيصا للأطفال الصغار
[٣٩] ترجمة إبراهيم بحراوي
[٤٠] ترجمة رؤوبين سنير
[٤١] ترجمة إبراهيم بحراوي
[٤٢] مجلة النبع الصاف- مرجع سابق
[٤٣] زين العابدين متولي.الصراع العربي الإسرائيلي في الشعر العبري –مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع .ص ٢٩٤
[٤٤] علاء بكر –أثر حرب العاشر من رمضان على الأدب الإسرائيلي مجلة النبع الصافً العدد١٨٨- ٢٠١٨م
[٤٥] سورة الروم: آية ٢١